المحاضرة الأولى -٠١-
الأهمية الإستراتيجية للوطن العربي

يمتد الوطن العربي من المحيط الأطلسي غربا إلى الخليج العربي شرقا بمساحة ١٣.١٥٢٠٠٠ مليون كيلو مترا مربعا إن هذه المساحة الشاسعة للوطن العربي، حتمت وجود كيانات سياسية متعددة تحيط به: تركيا في الشمال وإيران في الشرق وإثيوبيا وكينيا وجنوب السودان والتشاد والنيجر ومالي والسنغال في الجنوب[١] ويسكنه نحو ٤٤٥.٢٥٥ مليون نسمة "٥% من سكان العالم" أغلبهم من العرب أو الناطقين بالعربية وهناك العديد من الأقليات القومية الأخرى من أصحاب البلاد مثل (الأكراد في العراق وسوريا والبربر في المغرب العربي والنوبيون في السودان...) أو من الوافدين عليها (أتراك، تركمان، شركس، أرمن، عجم في مصر والهلال الخصيب).

ويعيش أكثر من ٢٧٢ مليون نسمة أي نحو ٦١% من العرب في إفريقيا و١٧٣ مليون نسمة أي ٣٩% في آسيا رغم أن الصفة الغالبة على توزيعهم هي التبعثر في مناطق منفصلة تفصلها أراضٍ صحراوية شاسعة.

وينقسم الوطن العربي إلى أربعة أقاليم جغرافية كبرى يضم كل منها عدة دول تتباين من حيث المساحة والسكان مما يجعل هذه الأقاليم في النهاية مختلفة هي الأخرى في الحجم المساحي والسكاني على النحو التالي:

أ- **شبه الجزيرة العربية:** وتشمل المملكة العربية السعودية واليمن وعمان والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين والكويت، وتصل مساحة هذا الإقليم ٣ مليون كلم[٢] أي بنسبة ٢١% من مساحة الوطن العربي، ويسكنه ٨٨.٤٠٠ مليون نسمة أي بنسبة ١٩% من جملة سكانه، وفي هذا الإقليم يتوزع السكان في الأودية وعلى المرتفعات الجنوبية وعلى سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج

---

[١]- المشهداني إبراهيم، جغرافية الوطن العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ص ١٣.

العربي، وفيه تخلو مناطق شاسعة من السكان خاصة الربع الخالي وفي شمال شبه الجزيرة العربية[٢].

ب- إقليم الهلال الخصيب: ويشمل العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة والأردن، وتبلغ مساحته ٧٤٩.٠٠٠ كلم[٢] أي ما يعادل ٥% فقط من مساحة الوطن العربي ولكن يسكنه ٨٤.٩٥٧ مليون نسمة بنسبة ٢٢% من جملة سكانه. ويتركز السكان به في الأطراف الغربية المطلة على البحر المتوسط سواء في مناطق السهول أو المرتفعات الجبلية، أما في العراق فيتمركزون أساسا حول نهري دجلة والفرات، وهنا تؤثر الأمطار كذلك في توزيع السكان حيث يتزايد التركز السكاني في الشمال ويبعثر السكان في المناطق الصحراوية في الجنوب والغرب[٣].

ج- وادي النيل والقرن الإفريقي: ويشمل مصر والسودان وجيبوتي والصومال ويعيش به ١٦٣ مليون نسمة أي نحو ٣٦% من جملة سكان الوطن العربي في مساحة قدرها ٤٢ مليون كيلو متر مربعا أو ما يعادل ٣٤% من جملة مساحته. ونهر النيل هو محور التركز السكاني في مصر والسودان كما تلعب الأمطار دورا كبيرا في تحديد مراكز العمران، بعيدا عن النيل في غرب السودان، وتكاد الظاهرة تتكرر في الصومال حيث التركز السكاني حول نهر جوبا-شبلي، كذلك في مناطق بعيدة عن واديه تعتمد على الأمطار[٤].

د- المغرب العربي: ويعيش في هذا الإقليم نحو ١٠٨ مليون نسمة أي ٢٤% من سكان الوطن العربي في مساحة تصل إلى ٦ مليون كلم[٢] أي بنسبة تصل إلى ٤٣% مساحته الكلية، وتتركز الغالبية العظمى من السكان في المغرب العربي الكبير في نطاق السهول الساحلية على امتداد المحيط الأطلسي والبحر المتوسط وتبقى مساحة صحراوية شاسعة من هذا الإقليم يتبعثر فيها السكان تبعثرا شديدا في الواحات المتناثرة به.

---

[٢]- فتحي محمد أبو عيّانة، مشكلات السكان في الوطن العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٣م، ص١٢.

[٣]- فتحي محمد أبو عيّانة، المرجع السابق، ص ١٢.

[٤]- نفسه، ص ١٤.

بالرغم من أن سكان الوطن العربي يزيدون عن ٤٤٥ مليون نسمة ويشكلون أمة واحدة ذات صفات مشتركة أبرزها اللّغة والدين والتاريخ والثقافة إلا أنهم ينقسمون إلى ٢٢ وحدة سياسية مستقلة تتشابه في معظم الخصائص الديمغرافية والاجتماعية، وتتباين في بعض الخصائص الأخرى[٥].

أهمية الوطن العربي من وجهة النظر الجغرافية:

يستحق موقع الوطن العربي اهتماما خاصا، فقد كان واحدا من العوامل التي صنعت تاريخ هذا الوطن وسببا دعا وما زال يدعو كثيرا من القوى الإمبريالية للتكالب عليه، من أجل فرض سيطرتها على أراضيه وعلى الأراضي المحيطة به.

ويبين المشهداني أسباب هذه الناحية عند تأكيده أهميتها فيقول: «يتميز موقع الوطن العربي بميزات خاصة، فيقع من الناحية القارية في القسم الجنوبي الغربي من آسيا وفي القسم الشمالي من إفريقيا، مكونا نطاقا يمتد بين المحيط الأطلسي والمحيط الهندي، يربطه المحيط الأول بغرب أوربا وإفريقيا، ويربطه الثاني بجنوب آسيا وجنوبها الشرقي وشرق إفريقيا. ويتصل الوطن العربي بأوربا عن طريق جبل طارق، وبإفريقيا عن طريق باب المندب»[٦].

وإذا كان لهذا الموقع الممتاز، كما ذكرنا، دور هام في تاريخ الوطن العربي، فإن أهمية دوره لا تقل بالنسبة لتاريخ حضارة العالم بأجمعه. فقد كان لهذا الموقع فضل انتشار أقدم الحضارات والمعتقدات والحركات الفكرية نحو أماكن متعددة بعد أن ولدت ونمت على الأرض العربية[٧].

وإذا كان هذا الوطن العربي ملتقى حضاريا فهو ملتقى تجاري أيضا فالعرب قد عرفوا بأنهم وسطاء التجارة بين الشرق والغرب، وفضل ذلك يعود إلى هذا الموقع

---

[٥]– نفسه.

[٦]– المشهداني إبراهيم، جغرافية الوطن العربي، المرجع السابق، ص ١٩.

[٧]– رفلة فليب، جغرافية الوطن العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٧١م، ص ١٥.

الجغرافي الممتاز الذي نتكلم عنه والذي سمح للوطن العربي وهو ملتقى المواصلات التجارية العالمية، البرية منها والبحرية والجوية، بأن يكون حلقة اتصال مهمة جدا بين البلدان المنتجة والمستهلكة.

وقد أكد كثير من المؤرخين والجغرافيين هذه الناحية، وسنكتفي هنا بالطبع بالاستشهاد برأي أحدهم، يقول: «...أما من حيث النقل والمواصلات فإن موقع الوطن العربي يعد إقليم عبور وحركة، وهو ملتقى اتصال بين الأقاليم المنتجة والمستهلكة، ونظرا لهذا الموقع التجاري الممتاز، قام العرب بدور الوساطة التجارية بين الشرق والغرب ثم أخذت هذه الأهمية تضمحل خاصة بعد اكتشاف رأس الرجاء صالح، إلا أن حفر قناة السويس أعاد تلك الأهمية الكبيرة إليه حيث قربت المسافة بين موانئ غرب أوربا وشرق الهند إلى ما يقرب من النصف»[٨].

أما فيما يخص المواصلات الجوية، فإن الوطن العربي يتمتع بمجال جوي فريد، فضلا عن موقعه المتميز كحلقة اتصال بين الشرق والغرب، والواقع أن انعدام الجبال الشاهقة والاضطرابات الجوية هما عاملان يشجعان الملاحة الجوية في المنطقة العربية المترامية الأطراف. ولهذا السبب نرى حواضر الوطن العربي، مثل الجزائر والدار البيضاء والقاهرة وبيروت وبغداد...الخ تشهد نموا متزايدا في خطوط المواصلات الجوية التي تصل بلدانًا بعيدة في الشرق والغرب[٩].

وفي الأخير يمكننا أن نقول بثقة تامة بأن الوضع الجغرافي الذي يتمتع به الوطن العربي يسهم إلى أبعد الحدود في إمكانية جعله بلدًا عظيمًا، له من الثروات ما يخوله أن يحتل كما احتل في الماضي، مكانة في غاية الأهمية في عالم اليوم.

الأهمية الإستراتيجية للوطن العربي:

تبرز أهمية الموقع الجغرافي الذي يتمتع به الوطن العربي من خلال وجهة النظر الإستراتيجية أيضا. ويكفينا في هذا الصدد أن نأخذ بعين الاعتبار المساحة الشاسعة التي يحتلها (فهو يشكل كتلة متماسكة تقع بين أوربا وإفريقيا، إلى جنوب

---

[٨]- عبد الحليم محمد صبحي، جغرافية الوطن العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٧١م، ص ص ٨، ١٠.

[٩]- الشامي صلاح الدين، جغرافية الوطن العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧١م، ص ٢.

الصحاري، وخطا متواصلا يصل المحيط الهندي بالمحيط الأطلسي)، أو كون هذا الوطن يتحكم بمضائق في غاية الأهمية والحيوية بالنسبة للطرق البحرية الدولية، سواء في المتوسط أو في البحر الأحمر أو في الخليج العربي.

إن تحليلا جغرافيا استراتيجيا لابد أن يبرز الأهمية القصوى لهذه البلاد، خاصة عندما يستعيد وحدتها، فهي تبعد ١٣ كلم عن أوربا في مضيق جبل طارق أو ١٠٠ كلم عن قنال صقلية، كما أنها قريبة من قلب إفريقيا (باب المندب) فضلا على أنها تدخل بجانبها الشرقي حتى مركز آسيا فترى، من سواحل عمان، الجنوبية والشرقية معا.

وإذا كانت القيمة الجغرافية الإستراتيجية هذه تكاد تكون فريدة من نوعها في العالم، وإذا كانت تشكل عنصر عظمة للوطن العربي، فهي بالذات كانت ولا تزال أحد الأسباب التي شجعت خلال حقب مختلفة اهتماما ومطامع العديد من القوى، فغزته واحتلته محاولة الهيمنة عليه (من الرومان في القديم إلى الفرس والأتراك، والبريطانيين والفرنسيين في عصرنا الحاضر).

يبدو لنا مهما أن نؤكّد في هذا المجال أنّ الغزو والتغلغل الأجنبيين لم يحصلا بغية نهب ثروات الأرض العربية بالقوة وحسب، بل أن كل غازٍ نظر إلى أهمية المنطقة الإستراتيجية، وإلى الإمكانيات الضخمة (في مجالي الهجوم والدفاع) التي سيحصل عليها عندما يستخدم لصالحه مختلف ميزات الوطن العربي الطبيعية (الصحاري والوديان وسواحل المحيط الأطلسي اللامتناهية وسواحل المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي وسلاسل الجبال... وكلها تشكل خطوط دفاع مديدة).

يكفينا أن نلم بهذه العناصر لندرك سبب مناهضة مختلف القوى، التي احتلت الواحدة بعد الأخرى هذا الوطن وبكل الوسائل، نضال الشعب العربي من أجل استعادة وحدته، وسندرك بصورة أفضل أيضا، ومن وجهة نظر بحتة، كيف أن تحسين إمكانيات الدفاع عن الوطن العربي وعن استقلاله السياسي والاقتصادي، لن يتم إلا بعد وضع "خطة عربية موحدة" تترجم المبادئ الجوهرية الكامنة في فكرة الوحدة من جميع نواحيها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.